أطفال لهم عقول رجال

عبد العزيز الشناوى

رســـوم
عبد الرحمن بكر

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع شارع الهادى وعبد السلام عارف
ت/ ٣٥٧٨٨٢



علا صوت آذان المغرب على أصوات العصافير العائدة إلى أعشاشها، فانطلق عثمان إلى المسجد، لما فرغ المصلون من صلاة المغرب أسرع عثمان بالعودة إلى داره فسألته أمه:

- هل رأيت الشيخ عبد الله إمام المسجد؟

قال عثمان:

- نعم وصلى بنا إماماً..

قالت الأم:

- إذا قدم أحد من أهل زوج أختك فاطمة فاصحبه إلى حجرة الجلوس حتى يقدم أبوك والشيخ عبد الله فقيه المسجد...

قال عثمان:

- لقد رأيت أبى يصلى خلف الشيخ عبد الله.

قالت الأم:

- إذاً سيصحبه أبوك عقب صلاة المغرب.

منذ أسبوع أقبلت فاطمة تجر فى يدها طفلها الصغير وسحب الغضب والحزن والانكسار تكسو وجهها، سألتها أمها:

- ما بك يا ابنتى؟

قالت فاطمة وهى تلقى بنفسها على أقرب كنبة:

ـ أصبحت الحياة مع زوجى جحيماً

قالت الأم مهدئة:

ـ أذكرى الله يا ابنتى ولا تدعى للشيطان مجالاً بينك وبين زوجك.

قالت فاطمة:

ـ أريد الطلاق

قالت الأم:

ـ لا حول ولا قوة إلا بالله، ألا تعلمى يا بنيتى أن أبغض الحلال عند الله الطلاق؟

قال عثمان:

ـ ما ذنب أولادك الصغار؟

قالت فاطمة في ضيق:

ـ اسكت مازلت طفلا لا تفهم مثل هذه الأمور.

قال عثمان:

ـ كيف؟ لقد ذكر لنا مدرس المواد الاجتماعية أن الطلاق تكون ضحيته الأولاد بعضهم يتشرد وبعضهم يسلك طريق الإجرام.

سمع عثمان طرقاً على الباب، وجد الحاج إسماعيل أمامه فتساءل:

ـ هل عاد والدك من المسجد؟



قال عثمان:

- تفضل يا عم الحاج إنه على وشك الوصول.

دخل الحاج إسماعيل حجرة الجلوس وجلس على أقرب كنبة .

عقب صلاة العصر لقى الأب الشيخ عبد الله فقال له:

- يا شيخ عبد الله أريدك بعد صلاة المغرب لكى نجلس قليلاً

قال الشيخ عبد الله:

- من أجل موضوع ابنتك فاطمة أليس كذلك؟

قال الأب:

- نعم..

قال الشيخ عبد الله:

- عسى الله أن يهدينا سواء السبيل ونصلح بينها وبين زوجها.

أقبل الأب والشيخ عبد الله.

فقال عثمان لأبيه:

- لقد أقبل الحاج إسماعيل فصحبته إلى حجرة الجلوس.

دخل الأب وبصحبته الشيخ عبد الله حجرة الجلوس وقالا:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال الحاج إسماعيل في اقتضاب:

- وعليكم السلام.. هيا اجلسا لا نريد أن نضيع الوقت، هل سأصحب فاطمة معي أم لا؟

قال عثمان:

- هل جئت يا عم الحاج لتصحب إنسانة أم تسحب عنزة؟

نظر الحاج إسماعيل نحو عثمان من أخمص قدمه إلى قمة رأسه وقال:

- ماذا تقول يا ولد؟ اخرج هذا مجلس رجال وليس مجلس أطفال.

إحمر وجه عثمان وقال:

- هل هذا المجلس أفضل من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

تبسم الشيخ عبد الله وتساءل:

- ماذا تعني بقولك هذا يا عثمان؟

قال عثمان :

- لم لا يكون لنا أسوة حسنة بناصر الحق صلى الله عليه وسلم ؟

ازدادت بسمة الشيخ عبد الله اتساعاً فقد أعجب برد عثمان وقال:

- كيف يا عثمان أن يكون لنا أسوة بطبيب القلوب والعقول والنفوس صلى الله عليه وسلم؟

قال عثمان:

- كان إذا صحب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم ابنه معه إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطلب نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم منه أن يطرد ابنه من المجلس بل كان يلاطفه.

قال الشيخ عبد الله لعثمان:

- هل تذكر لنا موقفاً من مواقف المبعوث للناس كافة صلى الله عليه وسلم مع أحد أبناء الصحابة رضوان الله عليهم؟

قال عثمان:

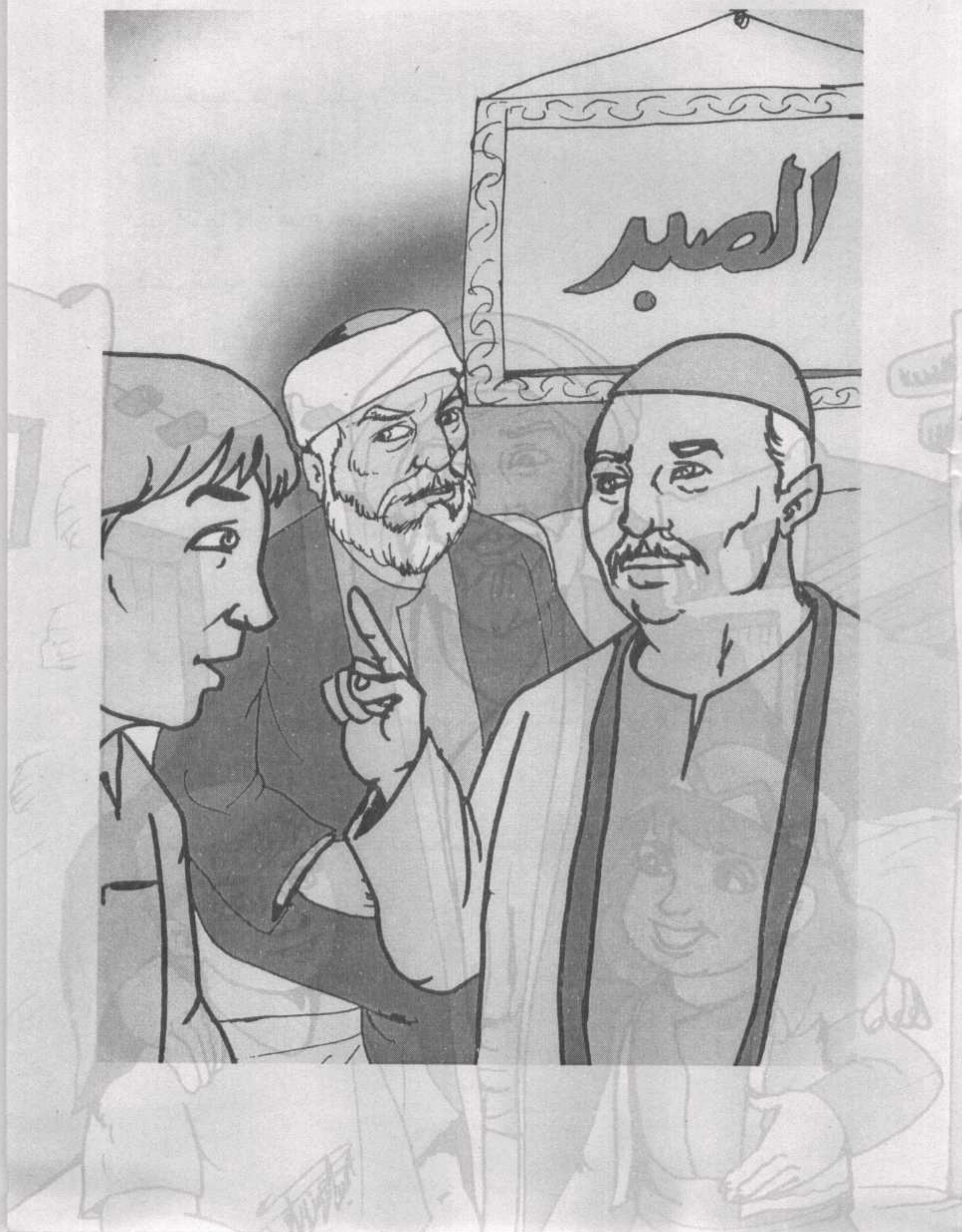
- سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ذات يوم فقال:

إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهى مثل المؤمن خبرونى ما هى؟ فقال أبو بكر: التفاح.. فهز رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه.. فقال عمر: التين.. فقال النبى عليه الصلاة والسلام: لا.. فقال عثمان: الرمان.. فهز النبى صلى الله عليه وسلم رأسه.. فقال على: جوز الهند.. فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: لا.. ثم قال الصادق المصدق صلى الله عليه وسلم: إنها النخلة..

ولما رجع عمر بن الخطاب إلى داره قال له ابنه عبد الله:

- لقد وقع في نفسى حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشجرة أنها النخلة.

فهتف عمر:


الصبر

- لماذا لم تخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال عبد الله بن عمر:

- استحييت من أبى بكر و.. وبقية الصحابة

قال الفاروق:

- لو قلتها كان عندى خير من الدنيا وما فيها

هتف الشيخ عبد الله:

- بارك الله فيك يا عثمان

قال الحاج إسماعيل:

- يا عم الشيخ عبد الله جئنا هذا المجلس لنصلح فاطمة ونردها إلى زوجها أنا حكم من ناحية الزوج وأنت حكم من ناحية الزوجة .

قال عثمان:

- قال العزيز الحكيم "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَآ" سورة النساء الآية : ٣٥

قال الحاج إسماعيل:

- نعم نريد الإصلاح ولا نريد كلام الأطفال.

قال الشيخ عبد الله:

ـ كـان أمـير المؤمـنين عمر بن الخطاب الذكى الورع يدعو عبد الله بن عباس ويستشـيره رغـم حداثـة سـنة فقد رأى الفاروق أن عبد الله بن عباس قد تخطى أقـرانه مـن الشـباب بفطنـته وفكـره وعبقريـته فكان أمير المؤمنين عمر يدعوه للمعضلات ويقول له:

ـ يا ابن عباس عندك قد جاءتك معضلة.

ثم يأخذ بقول ابن عباس

ويبعث إليه ويقول:

ـ يـا ابـن عـم رسـول الله إنهـا قـد طـرأت علينـا أقضـية وعضـل وأنـت لها ولأمثالها.

واعـترض بعـض الصـحابة عـلى أمـير المؤمنين عمر لم خص به عبد الله بن عباس دون سائر أبنائهم من أقرانه.

فقال شيوخ المهاجرين والأنصار:

ـ يـا أمير المؤمنين ألا تدعونا كما تدعو ابن عباس؟ لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله، نحن شيوخ بدر..؟

فقال الفاروق:

ـ إنه ممن علمتم

ثم فكر أمير المؤمنين عمر في أسلوب عملى يبين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عبقرية ومواهب عبد الله بن عباس التى أهلته لمجالسة الرجال والشيوخ من المهاجرين والأنصار وأصحاب الرأى، فدعاهم يوما إلى مجلسه وبعث إلى ابن عباس ثم تساءل الفاروق:

- ما تقولون في قوله تعالى "إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنّهُ كَانَ تَوّابًا" سورة النصر الآية: ١ - ٣

فقال بعض الصحابة:

- أمرنا الله عز وجل أن نحمده ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا.

وقال بعضهم:

- لا ندرى.

وسكت بعض أصحاب الرأى.

فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لعبد الله بن عباس:

- يا ابن عباس كذلك تقول؟

قال عبد الله بن عباس:

- لا..

فتساءل الفاروق:



ـ فما تقول؟

قال ابن عباس:

ـ هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى إليه ـ أعلمه الله ـ " إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" فتح مكة.

فقال أمير المؤمنين عمر:

ـ لا أعلم منها إلا ما تقول ـ إلا ما تعلم ـ

فسكت أشياخ بدر وأصحاب الرأى، فتبسم الفاروق وكأنه اكتفى بذلك ليرى بعضهم منه.

ثم نظر الشيخ عبد الله نحو الحاج إسماعيل وزحف بصره حتى حط على عثمان وتساءل:

ـ ما رأيك؟ هل لديك اعتراض على ما سمعت؟

هز الحاج إسماعيل رأسه وقال في تردد:

أنا لم.. أنا أقصد ، لا ليس لدى اعتراض إنه عمر بن الخطاب، وإنى لا أعترض على جلوس عثمان معنا ولكن لا يتكلم.

قال عثمان:

ـ لما تولى الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز الخلافة أقبلت وفود المهنئين من مشارق الأرض ومغاربها، وتقدم وفد الحجازيين غلام صغير لم تبلغ سنة إحدى عشرة سنة .

فقال الخليفة العادل:

ـ ارجع أنت وليتقدم من هو أسن منك

فقال الغلام:

ـ أيد الله أمير المؤمنين، المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً وقلباً حافظاً فقد استحق الكلام، ولو أن الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا.

فتعجب حفيد عمر بن الخطاب من كلام الغلام وأنشد :

تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو علم كمن هو جاهل

وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

هتف الحاج إسماعيل:

ـ صدقت والله يا عثمان. تعلم فليس المرء يولد عالماً.. بارك الله فيك.. اجلس يا بني وتكلم كما تريد.

تبسم الأب فقال الشيخ عبد الله:

ـ الاعتراف بالحق فضيلة، ومادمت أبديت حسن النوايا فإننى أقول والرأى أولاً وأخيراً لوالدها.

فقال الأب:

ـ والله ما بعد قولك يا شيخ عبد الله قول.

وارتفع صوت الأب:

ـ يا فاطمة هيا لترجعى مع الحاج إسماعيل إلى بيت زوجك.

فقال عثمان:

ـ على شرط..؟!!

فقال الحاج إسماعيل:

ـ ما هو يا عثمان؟

قال عثمان:

ـ على ألا يعود زوجها إلى أمور الأطفال ويتشاجر مع أختى فاطمة مرة أخرى.

قال الحاج إسماعيل:

ـ لك هذا.. يا عثمان.

وخرج الحاج إسماعيل والشيخ عبد الله، وخرجت فاطمة في أثرهما تحمل طفلها الصغير على كتفها.